

بلاغة الغموض في شعر المتنبي

دراسة في كتاب الفتح على أبي الفتح لابن فورجة (ت بعد 455هـ)

**The eloquence of ambiguity in Al-Mutanabbi's poetry
A study in the book Al-Fateh Ali Abi Al-Fateh by Ibn
Furajah (after 455 AH)**

د. موفق مجيد ليلو الحياوي

المديرية العامة لتربية ميسان-العراق

muaffaqmajeed@gmail.com

تاريخ النشر 2020/05/30	تاريخ القبول: 2020/05/04	تاريخ الإرسال 2020/04/18
------------------------	--------------------------	--------------------------

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة منهج ابن فورجة (ت455هـ) في معالجة مشكلات المتنبي وأهم آرائه النقدية، ودراسة استراتيجيات الغموض وأسبابه في شعر المتنبي، من خلال اختيار الأبيات وتصنيفها على وفق تقسيم المؤلف لأسباب الغموض مع الشرح والتحليل. وتهدف الى الوقوف على الجهد النقدي لناقد مهم جمع بين النقد اللغوي والذوق الأدبي الرفيع، فضلاً عن إحاطته بشروح ديوان المتنبي ونسخه. وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في تتبع جهود الشارح في كتاب (الفتح على أبي الفتح) ومناقشتها مع مقارنتها بجهود ابن جني في شرح مشكلات المتنبي. وتضمن: البحث في منهج ابن فورجة، ثم بيان أسباب الغموض وهي: مرجعية الضمير والتقديم والتأخير والصياغات الملتبسة. وتبين خلالها إحاطة ابن فورجة بديوان المتنبي التي مكنته من ترجيح الرواية الصحيحة للبيت، ودقته في الوصول المعنى العميق والقراءات المتعددة، ويمكن أن نعدّه - بالنظر إلى آرائه - من النقاد المحافظين، غير أنّه أقل تشدداً من الأملدي وأقرانه. مع التزامه بأدب النقد الموضوعي.

الكلمات المفتاح: منهج؛ غموض؛ فورجة؛ مشكلات.

Abstract:

This study addressed the curriculum of Ibn Furja (d. 455AH) in dealing with Al-Mutanabbi's problems and his most important critical opinions, and studying strategies of ambiguity and its causes in Al-Mutanabbi's poetry, by selecting verses and classifying them according to the author's division for

المرسل: muaffaqmajeed@gmail.com

reasons of ambiguity with explanation and analysis. It aims to stand on the critical effort of an important critic who combined linguistic criticism and high literary taste, as well as briefing him on the explanations of Diwan Al-Mutanabbi and his copies.

And I followed the descriptive and analytical curriculum in tracking the efforts of the interpreter in the book (Al-Fateh Ala Abi Al-Fateh) and discussing it with comparing it to the efforts of Ibn Jenni to explain Al-Mutanabbi's problems. The research included the curriculum of Ibn Furja, then explaining the reasons for the ambiguity, are: reference of conscience, presentation, delay, and ambiguous terms. During it was revealed that Ibn Furjah surrounded Al-Mutanabi's diwan that enabled him to suggest the correct narration of the verse, and its accuracy in reaching deep meaning and multiple readings, and we can consider him - given his views - from conservative critics, but he is less strict than Al-Amidi and his peers. With his commitment to objective criticism.

Key word: Furja . ,mbiguity, problems, curriculum



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى...

المتنبي شاعرٌ كبيرٌ لا يختص بعصر، نال منزلة رفيعة بين الشعراء، فملء الدنيا وشغل الناس، وحظي شعره بما لم يحظَ به غيره من الشرح والدراسة والتأويل. وكان فاتحة تلك الدراسات، ما كتبه ابن جني، فله القدح المعلن في هذا المجال، ويعود إليه الفضل في فتح باب الدراسة والجدل حول شعر أبي الطيب. ومن بين تلك الكتب التي تصدّت للردّ على أبي الفتح كتاب ابن فورجة الموسوم (الفتح على أبي الفتح) وهو من الأسفار القيمة التي بحثت في شرح مشكلات أبي الطيب ويكفي مؤلفه فخرا، أنه اعتمد على الذوق الأدبي، ولم ينقل عن غيره إلا ما نقله عن أستاذه أبي العلاء المعري، بينما كثر النقل عن كتابه بتلميح أو تصريح، فكان الواحد من معاصري ابن فورجة ينقل عنه ويثني عن كتابه (التجني والفتح). انطلاقاً من هذا الكتاب وأهميته، كان محلاً لهذه القراءة، فتناول البحث تعريفاً بالشارح ومنهجه في معالجة المشكلات وأهم آرائه النقدية، وأحكامه التي قد يستغربها القارئ من هذا الناقد الحذق العليم بسير أغوار المعاني وخفاياها. ثم قدّم البحث دراسة لاستراتيجيات الغموض وأسبابه في شعر المتنبي بنظر الشارح ابن فورجة، فعمد الى اختيار الأبيات وتصنيفها على وفق تقسيم المؤلف لأسباب الغموض من عود الضمير وتقديم وتأخير

ومجاز، مع عرض لأبيات أبي الطيب ببعض الشرح والتحليل، ثم خاتمة تضمنت أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة.

المبحث الأول

ابن فورجة (ت بعد 455 هـ) ومنهجه في شرح المشكلات

أولاً- 1- حياة ابن فورجة (ت بعد 455 هـ)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجة البروجردي، أديب ونحوي فاضل ومصنف، ولد في بروجرد بالقرب من أصفهان في ذي الحجة سنة (330هـ-941م) عاش غالباً في الري حيث تتلمذ له البخاري (467هـ)، وفاته في تاريخ غير معروف وقيل بعد (455 هجرية)، غير أنّ بلاشير في ديوان المتنبي يخطئ هذا القول وينسبه إلى صاحب فوات الوفيات⁽¹⁾. ومن شعره⁽²⁾:

أيها القتالي بعينيه رفقا
إنما يستحق ذا من قلاكا
أكثر اللائمون فيك عتابي
أنا واللائمون فيك فداكا
إن لي غيرة عليك من أسمى
إنه دائما يقبل فاكـا

قابل أبا العلاء (ت 449 هـ) في بغداد سنة (400 هـ)، وتتلّمذ على يديه، وكان ذا مكانة عالية ومقام سامٍ لديه، ويروى أن أبا العلاء أجاب ابن فورجة في قصيدة عامرة بالثناء عليه أولها:
الاقامت تجاذبني عناني
وتسألني بعرضتها مقبلا
ويقول في آخرها⁽³⁾ :

ولو لم ألق غيرك في اغترابي
لكان لقاؤك الحظ الجميلا

وقد أفاد من أراء أبي العلاء وتوجيهاته في دراساته عامة، وفي شرح أبي الطيب خاصة. وقرأ ديوان المتنبي بالعراق على جملة من العلماء والرواة، وحصل على نسخ كثيرة مكنته من تحقيق هذا الديوان، فضلاً عن اطلاعه على الفسرين الكبير والصغير لابن جني والوساطة للجرجاني ورسالي الحاتمي والصاحب بن عباد. وكان يقول: «لقد قرأت هذا الديوان تصحيحاً ورواية على علماء عدة ورواة ذات كثرة»⁽⁴⁾.

ويبدو أنّ ابن فورجة ألف كتابين هما: (التجني على ابن جني) و(الفتح على أبي الفتح)، ولم يذكر أحد غير هذين الكتابين، على الرغم من أنّ التجني لم يُعثر عليه. وكان هذان الكتابان ردّاً

على الفسر الكبير، مفسراً فيهما أحياناً أشكلت على ابن جني، أو أهملها أو أخطأ تفسيرها و صوب بعض شروحه، محاولاً الزيادة عليه دون أن ينقص حقه. «وكان يميل أحياناً إلى الدفاع عن أبي الطيب، وعمدته إلى ذلك - أحياناً - الاحتكام إلى الروايات الصحيحة مثلما يعتمد في الأكثر على الذوق»⁽⁵⁾. ولكن حماسه هذه لم تجعله يغفل عن بعض سيئات المتنبي أو يعتذر عنها، فهو يقول عن إحدى القصائد: «وهذه القصيدة من الشعر الرذل الذي لا ينتفع به ولا بتفسيره»⁽⁶⁾.

وكانت أحاطته بديوان المتنبي ورواياته، ساعدته على توضيح أمور لم ينتبه إليها غيره وبصيرته بمدليل الكلم، وعميق المعاني، وما أنطوى عليه شعر أبي الطيب، مما يغيب عن كثير من الأدباء، وقد اعتمده الواحددي مصدراً في شرحه وكان معاصراً له.

وأما تسميته (فُورَجَة) فهي كلمة فارسية من مقطعين (فور) وتعني الولد الصغير (جّة) وهي أداة تصغير، وعليه فيكون المعنى (الابن الصغير)⁽⁷⁾.

أولاً-2- سمات المنهج

قبل التعرض إلى أسباب غموض الشعر لدى ابن فورجة لابد لنا أن نشير إلى منهج ابن فورجة في شرحه لمشكلات أبي الطيب في كتابه (الفتح على أبي الفتح)، ويمكن إيجازها بنقاط:

1- ابتداء كتابة بحرف المهمزة وانتهى بالياء؛ لأنه ردٌّ على ابن جني في (فسره)، فمن الطبيعي أن يكون الرد بالأسلوب والطريقة نفسيهما.

2- لم يقتبس لأبي من شواهد ابن جني أو غيره، بينما اقتبس الواحددي من ابن فورجة، وأعتمد عليه بوصفه مصدراً من مصادره، وكان معاصراً لابن فورجة.

3- لم يكتف الشارح بالرد على ابن جني، وإنما كان يرد على القاضي الجرجاني (362هـ)⁸ والصاحب بن عباد (385هـ)⁹ والحاتمي (388هـ)¹⁰، ويكون عنيفاً أحياناً، وبخاصة مع الصاحب، مع ما عرف عن ابن فورجة من عفة القلم وهدوء الطبع، وإن كان في بعض الأحيان يخرج عن طوره، إلا أنه لا يبخس حق غيره، بل يقول كلمته في تواضع وأدب، والظاهر أن تطاول ابن عباد على المتنبي بغير حق هو الذي أخرجه عن سيرته¹¹. لما عرف بينهما من عداوة على ما ذكرته كتب الأدب والتاريخ.

4- كان لا يثقُ برواية ابن جني ويتهمة أحياناً بالزيادة وسوء الفهم - مع احترامه له - ويقول عنه في إحدى المرات: «وأنا أحلف بالله إن كان أبو الطيب قد سئل عن هذا البيت فأجاب بهذا الجواب الذي حكاه ابن جني، وأن كان إلا مزيداً مبطلاً فيما يدّعيه»¹². ولعل ذلك يعود الى أنَّ ابن جني من أهل اللغة لا الأدب، وكتبه تشهد بذلك، فهو مؤرخ للأدب وليس أدبياً، وليس هذا مما يعاب عليه، بل يكفيه أن تكون له الريادة في شرح ديوان أبي الطيب فكان فاتحة الشروح لشعر المتنبي، وهو أول من سلط عليه الأضواء.

5- تقسيمه لأسباب الغموض في الشعر إلى ثلاثة أقسام، ذكر اثنان منها وسقط الثالث من المخطوطة، وكان يعطي النماذج لكل قسم.

6- لم يكن كل ما عرضه ابن فورجة من المستبهم الغامض، بل كان أحيانا يذكر أبياتاً واضحة ويشير إلى ذلك - غير أنَّ المناسبة - كالدرد على ناقي الشعر أو القراءات المتعددة - تدعوه لذلك...

7- انتبه ابن فورجة إلى أمور لم يسبقه إليها غيره، وذلك لإحاطته الواسعة بديوان أبي الطيب وكثرة قراءته على العلماء والرواة - كما أشار هو ذلك - فمن ذلك مثلاً قوله: «إلا أنَّ له عادة في قطع الكلام الأول قبل استيفاء الفائدة، وهو كثير في كلامهم... وقد استقرت شعره كله، فوجدته لا ينزل عن هذا المذهب في كل ما مدح به، فإذا ورد ضمير ذمَّ ردَّه إلى الكلام الأول تفادياً أن يخاطب به مواجهاً، أو يرده إلى نفسه مخبراً...»¹³، ومن ذلك أيضاً قول أبي الطيب¹⁴:
أرانب غير أنهم ملوكٌ مفتحةٌ عيونهم نيام

قال: المعهود في مثل هذا يقال: هم ملوك إلا أنهم في صور الأرناب، فتزايد وعكس الكلام مبالغة، فقال أرانب غير أنهم ملوك... فجعل الأرناب حقيقة لهم، والملوك مستعار منهم، وهذه عادة منه يفارق فيها أكثر الشعراء...»¹⁵.

8 - كان يروي عن أبي العلاء فيما استغلق عليه - بل يرجح روايته للبيت - على الروايات الأخرى - وينقل رأي أستاذه بكل أمانة.

9- كان يتجنب التفصيلات اللغوية التي خاض فيها ابن جني كالإطالة في شرح بعض الكلمات، وكثرة الشواهد لأمر معين، فكان يفسر الألفاظ التي يرى أنها غير واضحة أو تكون

سببا في استغلاق المعنى. وكان يستشهد أحيانا بآيات من القرآن تعضيذاً لاستعمال لفظي، ويحاول الابتعاد عن التقديرات والتأويلات الاعرابية التي وقع فيها ابن جني.

10- التزامه بسنة الشراح في تفسيره الأبيات بعضها ببعض، فكان يفسر شعر المتنبي بعضه ببعض، وأحيانا في القصيدة الواحدة، فالألفاظ متنوعة والمعنى واحد، وهذا كثير في شعر أبي الطيب¹⁶.

أولا-3- آراؤه النقدية

تضمن كتاب الفتح على أبي الفتح، جملة من الآراء النقدية التي ذيل بها المصنف شرحه للأبيات، مما يدل على دقته في تحرّي المعاني اللطيفة، وسر أغوار النص للوصول إلى مكوناته، غير أننا نراه - أحيانا - يدافع عن بعض الأبيات بشيء من التعصب والإعجاب الشديد بأبي الطيب، غير أنّ ذلك «لا يجعله يغفل عن بعض سيئات المتنبي أو يعتذر عنها»¹⁷، كما يرى د. إحسان عباس، ومن غريب ما رأيناه في كتابه من آرائه النقدية قوله عن بيتي أبي الطيب¹⁸:

وأنت أبو الهيجا ابن حمدان يابنه تشابه مولود كرمٍ ووالد
وحمدان حمدون وحمدان حارث وحارث لقمان ولقمان راشد

فقال عنهما: «هذا المعنى من أحسن معاني القصيدة، والبيتان من خيار أبياتهما، وما أجد من الشعراء قصيدة على هذا الوزن إلا وهذه أحسن منها وأجود»¹⁹... ثم يذكر رأي صاحب واستهزاءه، ولسنا ندرك ما الذي أستلطفه هذا الناقد اللوذعي والأديب الحذق من هذين البيتين، فالفكرة موجزة لا تستحق هذه الإطالة وذكر (سلسلة السند) بأكملها. وربما لو أعانته القافية لأرخی العنان لبقية الأجداد.

ومما عابه على المتنبي قصيدته التي يقول فيها²⁰:

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شموعا
وإذا ماست رأيت لها ارتحاجا له لولا سواعدها نزوعا

فقال عنها: «هذه القصيدة كلها في الشعر الرذل، الذي لا ينتفع به ولا بتفسيره»²¹ كما عاب عليه قوله²²:

ومن سرّ أهل الأرض ثم بكى أسي بكى بعيون سرّها وقلوب

فقال: «وقد قصّر أبو الطيب في صنعة هذا البيت، ذلك أنّه جعل أهل الأرض فعّم بهذا القول، ثم قال: بكى بعيون (فنگر، وخصّ) لو قال:

بكى بالعيون التي سرّها والقلوب لكان أجود لتكون عيون أهل الأرض كلها وقلوبهم مساعده على البكاء، وكان أظهر للمعنى إلا أنّ الوزن لم يساعد، ولو قال من سرّ قومًا لكان قد استوفى المعنى ولم يختل اللفظ»²³.

وابن فورجة - وأن كان قد ذكر بعض الأبيات التي قصر فيها أبو الطيب - إلا أنّها قليلة قياساً بما استعذبه من شعره واستلطفه، فمن جميل صنعة أبي الطيب قوله:

كأنّ رقاب الناس قالت لسيفه: عدوك قيسيّ وأنت يماني

فقال عنه: «هذا من أفراد أبيات أبي الطيب، بل من أجود جيده، وذلك أنّ شبيباً الخارجي عربي من بعض بطون قيس عيلان، وبينها وبين اليمن عداوة ما قد شهر، وقد جرت نسبة السيوف إلى اليمن، ثم أنّ شبيباً قُتل، فيريد أنّه قتل بسيف نفسه ولم يقتله كافور، فيريد كأنّ الرقاب لما حلّ بها من عظيم ضربه لها أرادت التغريب بينه وبين سيفه: أنت يماني ورفيقتك قيسي، فهلاً قتلته، فسمع منها ما قالت فقتلته طالبة ترة نفسها وتره اليمن في قيس عيلان، ... فانظر ما أحسن ما عبّر عن قتله على يد كافور، وهذه القصيدة من أولها إلى آخرها هجو (لكافور) ومدح لشبيب ومعرضها مدح كافور، وذم شبيب، فتأمل فالصنعة فيها عجيبة جداً»²⁴.

ومن آرائه الأخرى قوله بعد شرحه لبيت المتنبي:

كأنّ نجومه حلّي عليه وقد خذيت قوائمه الجبوا

«شبه النجوم بالحلّي على الليل وجعل الأرض حذاء الليل، ويجوز أن يعني طول الليل، فكأنّه شبه الليل بفرس أدهم له قوائم منعلة بالأرض... ولقائل يقول: هذه دعوى لا حجة عليها - حيث كأنّه نظر الى بيت امرئ القيس:

كأنّ الثريا غلقت في مصامها بأمراس كتّانٍ إلى صمّ جندلٍ

فلعمري إنّ هذا لكما تقول، إلا أنّ الشعر يُحمل معناه على أحسن ما يقدر عليه تحقيقاً أو مجازاً»²⁵.

ولعلّ من أهم آرائه النقدية ما قدّمه في بداية شرحه، من خلال تقسيمه اسباب الغموض في الشعر على ثلاثة أقسام، وسنشير الى ذلك بالتفصيل. وهو يرى أنّ «الصنعة تختص من الشعر

باللفظ، ووجه استعماله، لا باختراع المعاني»²⁶، وذلك في مقام ردّه على شرح ابن جني لبيت المتنبي:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا البـــــــــــــــــاحث، والنجل بعض من نجله (م)
«قال ابو الفتح: أنا فوق أبي من يبحث عني، الا أنّ صنعة الشعر قادتني الى هذا النظم، وليس بضرورة، كما قال:

قالت: من أنت على خيرٍ، فقلت لها: أنا الذي أنت من أعدائه زعموا
فأتى بهذا النظم» انتهى كلام ابن جني.

يقول ابن فورجة واصفا قوله: «وهذا كلام من لا يعرف صنعة الشعر، وأي صنعة في هذا البيت غير ابداع المعنى، والصنعة تختص من الشعر باللفظ ووجه استعماله لا باختراع المعاني... وليس نظم الشعر فقط احوجه الى هذا القول، بل الشعراء المعروف بالتغالط»²⁷.
ومن حسن الصنعة التي أشار إليها ابن فورجة البيت²⁸:

لو استطعت ركبّت الناس كلّهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
فقال عنه: «إلى أنّه بيت حسن الصنعة والمعنى، يعني أنّ الناس كلهم كالبعرا في عدم العقول، فهم يصلحون للركوب». ثم ينتصر لأبي الطيب على صاحب الذي عاب البيت قائلا: أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا، فجاء بأخزي الخزايا... فهل في الأرض أسقط من هذا التسحب ولا أوضح من هذا التبسط...»²⁹.

وهذه من عادة الشعراء أن يرفعوا الممدوح فوق الناس، وإلا فأنهم في حرج من جميع ما ينطقون، فهل يعقل المتنبي أن يجعل نفسه مع المركوبين؟ ثم أنّ هذه سنّة الشعراء قبله، فلم يعاب ذلك عليه فقط، وهو من المجاز والتأويل، وقد أصطفى الله مريم على نساء العالمين. فهل يعقل أنّه اصطفاه على فاطمة (ع) وهي بعدها، وحواء وهي قبلها؟

ومن ملاحظاته الأخرى على شعر أبي الطيب قوله: «يتجنّب في شعره تكرير اللفظة الواحدة في حشو البيت، فضلاً عن القافية، فلا تكاد تجد له لفظة مكررة في بيتين من قصيدة واحدة إلا القليل النزر، بل لا يتجنب مثل ذلك الطائيان... فدواوين جميع الفحول مملوءة من التكرير ما خلا هذا الديوان الواحد فإنّ التكرير عنده مستشنع وفي دينه مسترذل»³⁰.

ويبدو أنَّ ما ذكره ابن فورجة ليس على إطلاقه، فقد استثنى القليل النزر، ونحن نجد في بعض أبيات المتنبي تكراراً لبعض الألفاظ، ربما ألجأته الضرورة الى ذلك، وقد يكون مراعاة للصنعة، كما في قوله: إنَّ المعيد لنا المنامُ خيالَه كانت إعادته خيالَ خيالِه³¹ وفي مديحه لسيف الدولة قائلاً:
وحمداً حمدونٌ وحمداً حارثٌ وحارثٌ لقمانٌ ولقمانٌ راشدٌ³²
وغير ذلك كثير، بل أحياناً يعيد الشطر بأكمله مع تغيير كلمة أو كلمتين، ومن ذلك قوله:
فحبُّ الجبان النفس أوردته التقى وحبُّ الشجاع النفس أوردته الحربا³³
وقوله: وقد أراي الشباب الروح في بدني وقد أراي المشيب الروح في بدلي³⁴
ومن ذلك أيضاً: فلا مجدٌ في الدنيا لمن قلَّ ماله ولا مالٌ في الدنيا بمن قلَّ مجده³⁵
وهذا يرد في شعر المتنبي بشكل ملحوظ، فهل يمكن أن نعدّه قليل من القليل النزر؟ إلا أن ابن فورجة ربما قصد إعادة الكلمة نفياً وبالمعنى نفسه، ولا سيما في القافية.

المبحث الثاني

أسباب الغموض في الشعر عند ابن فورجة

هناك متكأً نقديّ عند ابن فورجة، فهو يرى «أنَّ ما يُستبهم معانيه على الأذهان من الشعر ثلاثة أضرب، في كلها يضرب هذا الديوان بسهم، ويأخذ منه بقسم»³⁶، أي أنَّ أسباب الغموض في الشعر تعود الى ثلاثة أمور:

الأول: هو الذي صدك جهل غريبة عن تصوّر غرضه.

ثم يذكر ثلاثة أقسام، يذكر القسم الأول فقط، وسقط القسمان الباقيان من المخطوطة، وهذا القسم موجود في شعر أبي الطيب.

الثاني: ولم يذكر أيضاً؛ لأنّه سقط من المخطوطة.

الثالث: «ولا أقسام له، وهو ما عماء أعرابه لمجاز فيه، أو حذف من اللفظ، أو تقديم أو تأخير سوّغه الأعراب»³⁷. وهذا الضرب موجود في شعر أبي الطيب أيضاً ومنه قوله:

حملت إليه من لساني حديقةً سقاها الحجي سقي الرياض السحائب

ففرّق بين المضاف والمضاف إليه بلفظة (الرياض)، ويريد: سقي السحاب الرياض، وهذا كثير في شعر العرب³⁸.

والذي يعيننا من هذه الدراسة، القسم الثالث وهو ما عماء إعرابه لمجاز فيه أو حذف أو تقديم وتأخير سوّغه الأعراب؛ لأنّه يدخل ضمن نطاق النقد اللغوي والصياغات الملتبسة، التي تؤدي إلى تعدد القراءات للبيت الشعري من جانب، وغموضه من جانب آخر، محاولاً تصنيف الأبيات وفق هذه التصنيفات التي أشار إليها ابن فورجة. وسنحاول أن نعرض لكل سبب بشيء من التفصيل، على وفق المنطلق النقدي الذي ذكره ابن فورجة في كتاب (الفتح على أبي الفتح) مع ذكر لبعض الأبيات التي تتضمن غموضاً بالدراسة والتحليل.

ثانياً-1- مرجعية الضمير

مسألة عود الضمير من الأسباب التي تؤدي إلى تعقيد الصياغة وصعوبة فهم المعنى، وهذا الأمر قد يجعل بعض الصياغات غير مستساغة لدى القارئ، مما جعل النقاد يعيرون ذلك على الشاعر، فأعادة الضمير في الغالب تكون إلى الأقرب، ولكن الشاعر يلجأ أحياناً إلى أعادته إلى البعيد، مسبباً بذلك لبساً في الفهم واستغلاً للمعنى.

ومن يراجع كتب النقد يرى شواهد ذلك بكثرة، لاسيما لدى شعراء من أمثال أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء، ويكفي أن نراجع الموازنة للآمدي والوساطة للجرجاني وشروح دواوين الشعراء لنلاحظ هذا المعنى يتردد في طيات الكتب على ألسنة النقاد، وكتاب ابن فورجة لا يخلو من ذلك أيضاً، فهو كثيراً ما يشير إلى قراءات متعددة، مرجعها إلى عود الضمير، فقد جاء في شرحه لقول أبي الطيب:

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتُ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمَا بَيْكِي عَلَيْهِ الْعَاقِلُ

«يريد هذا الأمر الذي حكاه يعني إقْفَارَك أَيْتَهَا الْمَنَازِل وَخَلُوكَ مِنَ الْأَحْبَابِ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمِينَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا عَقْلَ لَكَ، وَالْهَاءُ فِي (عَلَيْهِ) تَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ كِلَاهُمَا حَسَنٌ:

أحدهما: أن يعود إلى ذاك، يريد أَوْلَاكُمَا بَيْكَاءَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْتَ الْعَاقِلُ (الفؤاد).

الثاني: تعود إلى أولى، يريد أَوْلَاكُمَا بَيْكَاءَ عَلَى نَفْسِهِ»³⁹.

ومن ذلك البيت القائل:

مَنَافِعُهَا مَا صَرَّ فِي نَفْعٍ غَيْرِهَا تَغْدَى وَتَرَوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ

فقال ابن فورجة عنه: «هذا أحد الأبيات التي زلَّ بها الشيخ أبو الفتح أفتح الزلل، قال الشيخ أبو الفتح: أي منافع الأحداث أن تجوع وأن تظمأ، وهذا ضارٌّ لغيرها، ومعنى جوعها وظمئها أن يهلك الناس فتخلو منهم الدنيا، وهذا كقوله:

كالموت ليس له ري ولا شبع ...

فأيُّ نفعٍ للناس في أن يهلكوا، وأيُّ حجةٍ له في غفلته عن هذا...»⁴⁰.

وكان سبب هذا الوهم عند ابن جني عائداً إلى الضمير، فالهاء - على ما فهمه أبو الفتح - عائدة على الأحداث، بينما أعادها ابن فورجة على الجدة المراثية، وهذا ما يغيّر قراءة البيت، وبهذا يكون المعنى: أن منافع المراثية وإيثارها على نفسها لا يضرّ غيرها، وذلك أنّها تؤثر الجوع والظمأ، في حال الرّيّ والشبع، فإذا جاعت وظمئت كانت كأنّها تغدّت ورويت.

ووجه آخر، وهو أن تكون (في) بمعنى (مع) يريد: ما ضرّها مع نفع غيرها، كما تقول: أردت شتمك في أكرام زيد، أي مع اكرام زيد،... وبعد فالمعنى من قول القائل:

اقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد⁴¹

فنرى أن تعدد القراءات تعود إلى إرجاع الضمير، وإن كنّا نميل إلى ما جاء به ابن فورجة في المعنى الأول؛ لأنّه الأبعد عن التكلف والتأويل.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك قول أبي الطيب في صباه:

ذمّ الزمان إليّ من أحبته من ذمّ من بدره في حمدٍ أحمدٍ

فأنّك ترى تكرار الضمائر، وليست كلها تعود إلى الزمان، فهناك ما يتحدث عنه الشاعر، وهو العاشق كما يذكر أبو الفتح ... «فالهاء في أحبته عائدة على العاشق، والهاء في (بدره) و(أحمد) جميعاً عائدة على الزمان، والفاعل المضمر في ذمّ (الثانية) عائدة على العاشق أيضاً، والبدر هو المعشوق، وأحمد هو المتنبي جعل نفسه أحمد الزمان، أي ليس في الزمان أحمد آخر مثله، فالزمان يذمّ مع الهجر أحبته إياه ويحمده أي ويحمد المتنبي (أحمد) لفضله ونجابهة»⁴². هذا ما ذكره أبو الفتح، إلا أن ابن فورجة كانت له قراءة أخرى، وهي بإعادة الهاء إلى الزمان في قوله: (أحبته)، يريد: أحبه الناس فيه، أضافهم إلى الزمان؛ لأنهم فيه. كأنّه قال: الزمان له كل الأوبة في مذموم كما قد ذممت بدرك، ثم قال: في حمد أحمد، يريد ذمهم الزمان مع حمده إياي (في) بمعنى

(مع) كما تقول: مرّ وهو يقرأ في سيره⁴³. وكثرة الضمائر ومرجعياتها يشيك المعنى أمام المتلقي ويصعب ترجيح معنى على آخر.

ويبدو أنّ ما ذكره أبو الفتح أقرب الى الفهم الصحيح للبيت، فالزمان يذمّ اليه أحبة الشاعر؛ لأنّهم هجروه، وهو يحمد (أحمد) على فضله وشرفه، ومدار الأمر في تفسير المعنى عائد الى نسبة الضمير.

والمعنى ليس بهذا التعقيد الذي يدفع أبا الطيب الى تكرار الإضافات والضمائر وتعقيد الصياغة، بحيث توهم السامع، وإنّما كان بالإمكان التعبير عن هذه الفكرة بأسلوب رشيق. ولعل القافية اقتضت ذلك، ومع ذلك فإنّ المعنى لا يستوجب هذا التعقيد.

ومن الأبيات الاخرى التي ذكرها ابن فورجة وتأولها بقراءات متعددة قول المتنبي:

وأكبرُ منه همّة بعثت به
اليك العدى واستنظرت الجحافلُ

في هذا البيت ثلاث قراءات:

الاولى: أن تكون (أكبر) اسم تفضيل وليس فعلاً رباعياً، والهاء راجعة الى نفسه في (منه)، يريد: أكبر من جسمه همّة بعثت به اليك.

الثانية: أن تكون (أكبر) فعلاً رباعياً، أي استعظم العدى همته التي بعثت به اليك، وسألته الجحافل ان ينظرها بما شغل به سيف الدولة عنهم، وهو لأبي الفتح.

الثالث: أن تكون الهاء في منه ضمير (الرسول) في بيت تقدمه:

وأني اهتدى هذا الرسول بأرضه
وما سكنت مذ سرت فيها القسايلُ

يريد: وربّ أكبر من هذا الرسول همّة بعثت اليك الروم، أي جاءك فاستعظم شأنك فعاد اليهم وهو يعذبهم، عداقتهم لك، ويجل قدرك في عيونهم أن تعادى.

فأقبل من أصحابه وهو مرسل
وعاد الى أصحابه وهو عاذل⁴⁴

ومن الابيات الاخرى التي تستغل على السامع والقارئ، لصعوبة ارجاع الضمير وعوده على

المتحدث عنه، لوجود شخص آخر في طيات البيت مما يستدعي الوهم قول أبي الطيب:

كلما استلّ ضاحكته إياة
تزعّم الشمسُ أنّها آراد⁴⁵

والهاء في آراد⁴⁵ راجعة الى السيف ؛ لأنّ الشمس والإياة كليهما مؤنّتان.

«والإيالة نكرة تحتاج الى ضمير يرجع اليها في باقي الكلام، فإن كانت الهاء راجعة الى إيالة ، فالهاء في آرادته إما للسيف او للشمس، وإن كانت الهاء في إنها للشمس، فالهاء في آرادته لا تصلح أن ترجع الى إيالة؛ لأنها مؤنثة فيها علامة تأنيث... وقد ذكرَ الشمس؛ لأنها مؤنث مجازي واضطرت القافية الى ذلك... وهذا وارد في كلام العرب»⁴⁶.

فكانه أراد: أنه كلما استل هذا السيف وخرج من قراه، ضاحكته إيالة ، واستعار الضحك للأيالة : صور الشمس الساطع، حتى أنّ الشمس تزعم أنّها من أترابه، ولكثرة استلال السيف فإنّ كلّ سلة، ترب له وشبيه له بضوء الشمس، ولذا جاء بالآراد جمعا. وفي هذا المعنى دقة كبيرة، وصنعة لطيفة، لم يذكرها أبو الفتح ولم يتطرق الى شرحها، وقد تناولها ابن فورجة في كتابه. ومن أبياته المشكلات قوله:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب⁴⁷

فالهاء في نعمائه يمكن أن تعود على المتقلب في نعمائه او الى غيره .

ثانياً-2- التقديم والتأخير

من أسباب الصياغات المبهمة التقديم والتأخير، وهذا الديوان يضرب بنصيب من ذلك، فمن ذلك قول المتنبي: وأكثر ما تلقى أبا المسك بذلةً إذا لم تصن إلا الحديد ثياب وهذا البيت أورده ابن فورجة وقال عنه: «وقد سهأ الشيخ أبو الفتح فيه سهواً يبيّن أن أبا تكفرت الأبطال، فلبست الثياب فوق الحديد خشيةً واستظهاراً، فذاك الوقت أشد ما يكون تبذلاً للضرب والطعن... وهذا أيضاً جنابة للعجلة، ولو تثبت لم يعزب عنه هذا القدر، وما الحاجة بنا إلى التعسف؟ وإنما يفعل ذلك- لبس الثياب فوق الدروع- من يحتال بحرب من يخشى حربه، إذ كان يكافئه، أو يهيم به، فهو يخشى ظهور أمرها فيستظهر لحرب من يدفع إذا دوفع...»⁴⁸.

وخلاصه ما رآه ابن فورجة أن المعنى: إذا لم يصن البدن الا الحديد ثياب، فحذف البدن لعلم المخاطب به، أي في الحال التي لا تصون الإنسان ثيابه عن وخز الرماح، بل يحتاج إلى الحديد، فالحديد نصب على الاستثناء مقدم على الفاعل⁴⁹.

وإنّ ما ذكره ابن جني- لا يدل على بطوله العدو وشجاعته، فالشجاعة يلبس ثيابه تحت الدرع لا فوقه- إن لبس الدرع- وإلا فهو محتال مخادع، يتزيى بزي الأبطال الذين يفخرون بتركهم

التدريج إذا حمي الوطيس، وتطائرت الرؤوس، وما أوهم ابن جني في الوقوع في ما ذكره راجع إلى تقدير المحذوف وتقديم المستثنى على فاعله.

ومن الأبيات التي يشتهب المعنى فيها لتقديم أو تأخير البيت الذي يقول فيه أبو الطيب:

أني يكونُ أبا البرية أدمُ وأبوك والتقلانِ أنتَ محمدُ

والتقدير: كيف يكون أبا البرية أدم، وأبوك محمد وأنت الثقلان، أي أن أباك هو أبو

الثقلين وليس غيره، وقد كرّر هذا المعنى في شعره فأظهر ذلك⁵⁰ في قوله:

ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق... وهذا كله من الآية: { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } (النحل: 120)

قول أبي الطيب: من كلِّ أحوَرٍ في أنيابه شَنَبٌ خمرٌ تخامرُها مسكٌ تخامرُها

فالهاء في تخامرُها عائدة على الخمر، وخمر: مبتدأ، تخامرُها: مبتدأ ثان. مسك: خبره، وجملة

(تخامرُها مسك) في محل رفع خبر ل(خمر)، والهاء في تخامرُها ضمير الشنب.

وهذا قول ابن فورجة، وهو أرجح مما ذكره أبو الفتح، فالمعنى: أن خمرًا قد خامرُها مسك،

يخامر ذلك الشنب، و(الشنب) صفاء ورقة في الأسنان، وأنما جعل أبو الفتح (خمرًا) بدلًا من

شنب، أي كأنه قال: في أنياب خمر، على أنه لو أراد الشاعر هذا المعنى لذكر الفعل؛ لأنَّ المسك

مذكّر، وقال: مسك يخامرُه⁵¹.

وهناك رواية أخرى للبيت بالباء في تخامرُها أي: خمر يخامرُها، وتكون بذلك: خمر مبتدأ

ومسك فاعل يخامرُها، والجملة نعت وتخامرُها خبر للمبتدأ خمر. وجملة خمر تخامرُها نعت ل(شنب).

ولعل هذا التداخل بين أطراف الكلم في الشطر الثاني من البيت هو ما دفع الشارحين إلى

التمحُّل والتعسف في التأويل وتعدد القراءة فيه، فضلاً عن التقديم والتأخير الذي حصل في

البيت. فكأنه لو أسعفه الوزن لقال: في أنيابه شنب لزمته وخالطته خمرة ممزوجة بالمسك، وليس ما

عابه ابن فورجة على ابن جني في أنه فسّر المخامرة بالمخالطة بصحيح، فقد ذكر صاحب

المفردات: خامره وخمره: خالطه ولزمه⁵². ومثله في القاموس المحيط: تخامر العقل أي تخالطه...

والمخامرة: لزوم المكان، والمخالطة والمقاربة والاستتار⁵³.

ومن الأبيات الأخرى في هذا الباب قوله:

كفي أراي ويك لومك ألوما همّ أقام على فؤاد أنجما

فقد فسره ابن جني بمعنى: أراني هذا الهم لومك إياي أحق بأن يلام مني، وهذا من باب التصريف واللغة⁵⁴. وذكر ابن فورجة معنى آخر وهو: كفي لومك أراني أشد لوما، أي أرى نفسي أقدر على اللوم منك، (هم) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (حالي)، أي حالي هم أقام على فؤاد أنجم أو مبتدأ وخبره محذوف⁵⁵.

ثانياً-3- تعدد القراءات بسبب الصياغات الملتبسة

قد تعدد القراءات للبيت الواحد بسبب الصياغات الملتبسة، دون أن يكون في البيت حذف أو تقديم أو تأخير أو ضمائر توهم القارئ بصعوبة إرجاعها إلى الأقرب أو الأبعد، وقد أمثلة كتاب (الفتح على أبي الفتح) بهذه القراءات المتعددة وسنذكر بعض الأمثلة عليها: فمن ذلك ما ذكره ابن فورجة في تفسيره للبيت:

العارفين بما كما عَرَفْتُهُمْ والراكبين جدودهم أماتهما
فالبيت واضح من حيث الألفاظ، لا يحتوي على تقديم أو تأخير أو حذف مما يوجب غموضاً، غير أنه يحتمل معنيين بسبب صياغته الملتبسة:
«أحدهما، وهو الظاهر، أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها؛ لأنها من نتائجهم، وعنى أنها تناسلت عندهم، فجود هؤلاء الممدوحين كانت تتركب أمهات هذه الخيل، وهم اليوم يركبون بناتها، ولو ساعده الوزن لقال: والراكبين آباؤهم ليكون أصحَّ في التقابل وهذا المعنى سواء... والثاني: هو الذي أورده بصف معرفتهم بالخيل ولا يعرفها إلا من طال مراسه لها، والخيل تعرفهم أيضاً؛ لأنهم فرسان... وأن جدودهم أيضاً كانوا من ركاب الخيل، أي أنهم عريقون في الفروسية... وهذا هو الأشبه والمعنى الأول غير ممتنع»⁵⁶.

ونحن نوافق ابن فورجة في معناه؛ لأنه ألصق بمعنى المدح والفروسية الذي قصده الشاعر، وأما الأول، فهو لا يرقى إلى المعنى الثاني وإن كان غير ممتنع كما يرى.

ومن الأبيات الأخرى قول المتنبي:

يدقُّ على الأفكارِ ما أنتَ فاعلٌ فيترُّك ما يخفى ويأخذ ما بدا
فقال عنه أبو الفتح: هذا البيت مثل قول عمار الكلي:
ما كلَّ قولي مشروخاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

وقد عاب هذا المعنى ابن فورجة وقال عنه: «فأما أن يقال هذا مثل هذا ويختتم الكلام فتقصير بَيِّن... والمعنى... أن تبندعه من المكارم يخفى على أفكار الشعراء، فيذكرون في أشعارهم ما يظهر منها، ويتركون ما يخفى على أفكارهم، وليس يريد أن المقتدين بك في المكارم يأخذون ما ظهر منها ويتركون ما خفي؛ لأنَّه لو أراد ذلك لما أتى بالأفكار، ولقال: يدقُّ على الكرام، ولو أراد ذلك لما قال: يترك ما يخفى ويأخذ ما بدا، وكان الأبلغ في المدح أن يقول: إذا فعلت فعلا لم يهتد إلى فعل مثله أحد فلم يتأتَّ عليه، كما قال في مكان آخر:

تكبوا وراءك يا بن أحمد قرَّح
ليست قوائمهم من آلايح

وأما قول عمار فيعني: أنَّ قولي أدقُّ من أن يفهموا جميعه، فخذوا ما عرفتم، ودعوا ما لم تعرفوا، فنقله إلى المدح أبي الطيب، وأقام دقة صُنِعِه في اقتناء المكارم دقةً معنى الأبيات»⁵⁷. ولعل ما ذكره هو الأشبه بالمعنى خاصة مع عرض الحجج والأدلة على ترجيح هذه القراءة. ومن الأبيات التي تعددت قراءتها البيت:

إليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت
بي البيدُ عنسَ لحْمها والدُم الشعر

ينفي ابن فورجة أن يكون البيت مرويًا بفتح الشين، وقال عنه: «ولم يرو ذلك أحد عن أبي الطيب، وما هو الا من وساوس الشيطان،... ويحتمل من المعاني وجوهاً كثيرة كلها جيد، فأولها وهو الذي أتى به أبو الفتح، أي إنما كنت أحثُّها بمدحكم وأحدو لها به، فأصون بذلك لحمها ودمها، هذا لفظه... ومعنى ثان، وهو أن يعني أنَّه لا حول ولا مال ولا وسيلة إلا الشعر... فأقام اللحم والدم والمال والوسيلة؛ لأنَّ الإنسان بهما يتوسل إلى السير، ويكون كقوله:

لا ناقتي تقبلُ الرديفَ ولا
بالسوطِ يومَ الرهان أجهدها

ومعنى ثالث: أنه يعني ناقتة لم يبق لها من هزالها دم ولا لحم وإنما الشعر فقط.

ومعنى رابع: وهو أجودها كلها، وهو أنه يعني أنها كأنها شعر قد تجسم ناقة فكلها شعر، إذ كان كلها لحما ودمًا، فانه لو قدر لقال: لحمها ودمها وعظمها وعصبها وما أشبه ذلك، ولا يريد أن ثمَّ هزالا ولا جهدا، بل يريد غلبة الشعر على راكبها»⁵⁸. وقد نسب العكبري رواية فتح الشين في (الشعر) إلى الخوارزمي⁵⁹. والأجود هو المعنى الأخير الذي أشار اليه ابن فورجة، وفيه من الخيال والمبالغة الشيء الكثير، وهو ما عرف عن أبي الطيب، وفي موضع آخر يقول: هم الناس الا أنَّهم من مكارم...⁶⁰

فغلبة المكارم على الناس (الممدوحين) جعلت المكارم تغمرهم، بل جعلتهم كيانا من المكارم فقط. وكثيراً ما يجعل المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً كما في بعض أبياته، إذ جعل حقيقة الملوك أرناب واستعار لهم الملوك كقوله:

أرنابٌ غير أنهم ملوكٌ مفتحةٌ عيونُهم نيامٌ

ومما تعددت فيه القراءات قوله:

ولا أقمنا على مكانٍ وإن طابَ ولا يمكنُ المكانَ الرحيلُ

قال عنه أبو الفتح : معناه لم نقم كقوله تعالى : { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى } (القيامة: 31)

يريد: لم يصلِّ، فهي نافية بمعنى (لم)، وذكر ابن فورجة أن ال(لا) هنا هي الواقعة في جواب القسم كقوله: والله لا أقمت. «فيحتمل أن يريد: والله أقمنا على مكان، ويحتمل أن يريد الدعاء: لا أقمنا على مكان هذه صناعته...

وقوله: ولا يمكن المكان الرحيل... له معنى لطيف سها عنه الشيخ وأتى مكانه بمعنى كسيفٍ وهو: أنه يريد لا نقيم على مكان أبداً حتى نلقاه، يقول: لا أقمنا على مكان إلا ويمكن الرحيل معنا، وهذا ما لا يكون، فكذا نحن لا نقيم، فالواو هنا واو الحال أي لا نقيم في مكان وهذا حاله... فانظر الفضل بين ما ذكرنا، وبين ما فسره أبو الفتح»⁶¹.

ومن جميل الصنعة قول أبي الطيب:

قفي تغرمي الأولى من اللحظ مهجتي بثانيه والمتلف الشيء غارمه

أي «قفي فإن الأولى من النظرات أتلفت مهجتي، فإن وقفت غرمتها ثانية... وذلك أنَّ اللحظة الأولى لا تغرم، وإنما حبسته تغرم، أو النظرة تغرم... لكنه توسع في الكلام على مذهب العرب، إذ كانت النظرة الأولى هي التي أتلفت فكأنها تلك بعينها تعاد فتغرم... ومعنى آخر... و(الأولى) نصب تكون مفعولاً أولاً، و(مهجتي) مفعول ثانٍ ل(تغرمي)... أي لما كانت النظرة الأولى أتلفت مهجته قال: أغرمها لها بنظره ثانية، وكلا التأويلين جيد»⁶².

والمعنى الثاني أجود وأدقُّ، فكأنه عاشق يهوى ما يتلف مهجته فيريد منها ما يستزيد به ألماً وكمداً، فكأنه نظر إلى قول القائل:

وداوي بالتي كانت هي الداء⁶³

ومن المعاني التي تعسّف فيها أبو الطيب:

نحن من ضايق الزمان له فيــــك وخانته قربك الأيام (م)

يبرئ ابن فورجة ابا الفتح من القراءة التعسفية للنص في هذا البيت ويلقي باللوم على المتنبي، وهو مع ذلك يقدّم قراءة مغايرة لقراءة ابن جني للنص قائلاً: «فقال أبو الفتح: قال ابو الطيب: أردت ضايقه فزدت اللام، وهذا مثل قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف:43)، ... وعندي له وجه آخر، وهو أن تكون الهاء عائدة على الزمان، يريد نحن من ضايق الزمان لنفسه فيك. أي لأجل نفسه، وكلا الوجهين من باب التعسف والذنب لأبي الطيب لا للمفسر»⁶⁴.

والمعنى -كما يذكر الواحدي- معروف قد تعاورته الشعراء ، قال محمد بن وهب:
وحاربي فيك ربُّ الزمانِ كأنَّ الزمانَ لهُ عاشقٌ⁶⁵

وهذا الأسلوب النقدي يكشف عن مدى موضوعية ابن فورجة وأدبه العالي في النقد، فضلاً عن ذائقته النقدية الماهرة في اصطبات المعاني الملغزة والمبهمّة.
ومن أبياته التي تتعدد فيها القراءات قوله:

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسميه بأن تسعدا والدهر أشفاه ساجمه

يشير ابن فورجة الى تأويل البيت قائلاً: «يريد: وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاء طاسمه... وفاؤكما بذلك طاسم دارس، وأشجاء دارسه؛ لأنّه لو لم يكن دارسا ما شجاني... ثم تم الكلام أتى بزيادة... أشفى لدفع ما يسجم فدعوني ابكي... وقد يكون المعنى: وفاؤكما كالربع، مقطع كلام أي دارس كالربع. ثم قال: الذي أشجاه، من قولك شجى باللقمة إذا غص، وأن تسعدا متصل بأشجاه، يريد أغصّه بإسعاد كما لي فيه على البكاء»⁶⁶.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة في شعر أبي الطيب وحكمة الباهرة لابد للباحث أن يضع رحله في نهاية المطاف، ويضع النقاط على الحروف؛ ليشير إلى أهم النتائج التي وصل إليها الباحث والتي لا تخفى على القارئ، غير أننا ندرجها بشكل نقاط:

- قراءه ابن فورجة لديوان أبي الطيب وسماعه لروايته عن عدد من العلماء والرواة، مكنته من الإحاطة به وترجيح الرواية الصحيحة للبيت فضلاً عن الانتباه إلى أمور في شعر أبي الطيب غابت عن سواه، كما أن دقته في تحري المعنى الباطني والقراءات المتعددة ، تدل على علو كعبه في النقد.

- يمكن أن نعدّ ابن فورجة - بالنظر إلى آرائه المتناثرة في طيات كتابه- من النقاد المحافظين، غير أنّه أقل تشدّدًا من الأمدي وأقرانه.
- لم يكن ابن فورجة يثقُ برواية ابن جني، مع ثنائه عليه في بعض المواضع، ومع ذلك فهو ملتزم بأدب النقد الموضوعي، عَفُ القلم باستثناء ما وصف به (الصاحب بن عباد) بالظالم، ولعل ذلك بسبب تحامل الأخير على المتنبي والنيل منه.
- لاحظنا أثناء هذه الدراسة بعض الأحكام الغريبة من الناقد، أشرنا إليها في موضعها، ونرجّح أنّ مردّها إلى إعجاب المصنف بشعر المتنبي وبعض أبياته التي (قصر) فيها.
- الأثر الفلسفي والصوفي يظهر بشكل واضح في شعر المتنبي، وفي المقابل فهو ينحى فيه منحى الفلاسفة والمناطق.
- الاستعارة عند أبي الطيب باب واسع من أبواب التعقيد والغموض وهي تخالف المعجم الاستعاري العربي التقليدي.
- الثقافة الواسعة للشاعر تحيل القارئ أحيانًا إلى مرجعيات تراثية أو اجتماعية وهي تشكل سببا من أسباب الغموض.
- التركيب المعقد مورد من موارد الغموض، فكلمات البيت واضحة وألفاظه سهلة، ولكن التركيب معقد، وهو ما نلاحظه في كتابات المتصوفة، ولعل الشاعر قد تأثر بهم في بعض أشعاره. وهناك أبواب أخرى للتعقيد كالتقديم والتأخير والتكرار وغيرها أشرنا إليها في موضعها.

¹ محمد بن حمد بن فورجة (ت بعد 455هـ)، الفتح على أبي الفتح: تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ط: الجمهورية العراقية، 1974م، ص 14.

² الفتح على أبي الفتح: 13

³ الفتح على أبي الفتح: 14 نقلا عن شرح التنوير على سقط الزند: 11/2.

⁴ الفتح على أبي الفتح: 87.

⁵ د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1971م: 394.

⁶ الفتح على أبي الفتح: 175

⁷ الفتح على أبي الفتح: 12

- ⁸ الفتح على أبي الفتح: المواضع هي: 79، 83، 87، 96، 133، 149، 320.
- ⁹ الفتح على أبي الفتح: المواضع هي: 71، 76، 100، 163، 197، 254، 335.
- ¹⁰ الفتح على أبي الفتح: 69 و 77-78
- ¹¹ الفتح على أبي الفتح: 22
- ¹² الفتح على أبي الفتح: 24 وينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي: تحقيق: محسن غياض، دار الشؤون الثقافية، بغداد ،
- ¹³ الفتح على أبي الفتح: 125
- ¹⁴ ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط2 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1936م: 351
- ¹⁵ الفتح على أبي الفتح: 305
- ¹⁶ الفتح على أبي الفتح: ينظر: الصفحات: 82، 123، 124، 146، 147، 158، 187، 213، 218، 220، 234، 241، 261، 294، 292.
- ¹⁷ تاريخ النقد الأدبي عند العرب: 394.
- ¹⁸ ديوان أبي الطيب المتنبي : 98
- ¹⁹ الفتح على أبي الفتح: 100
- ²⁰ ديوان أبي الطيب المتنبي: 203
- ²¹ الفتح على أبي الفتح: 175
- ²² ديوان أبي الطيب المتنبي : 251/2.
- ²³ الفتح على أبي الفتح: 73
- ²⁴ الفتح على أبي الفتح: 340
- ²⁵ الفتح على أبي الفتح: 59
- ²⁶ الفتح على أبي الفتح: 266- 267
- ²⁷ الفتح على أبي الفتح: 266- 267
- ²⁸ الفتح على أبي الفتح: 334
- ²⁹ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 335
- ³⁰ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 85
- ³¹ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 206
- ³² ينظر: الفتح على أبي الفتح: 100
- ³³ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 81

- ³⁴ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 207
- ³⁵ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 207
- ³⁶ الفتح على أبي الفتح: 35
- ³⁷ الفتح على أبي الفتح: 41
- ³⁸ الفتح على أبي الفتح: 43
- ³⁹ الفتح على أبي الفتح: 261
- ⁴⁰ الفتح على أبي الفتح: 314-315.
- ⁴¹ الفتح على أبي الفتح: 315، والبيت في الحماسة: 285/2، لعروة بن الورد.
- ⁴² الفتح على أبي الفتح: 142
- ⁴³ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 142
- ⁴⁴ الفتح على أبي الفتح: 230
- ⁴⁵ الإيابة: ضوء الشمس، والريد: التّرب، وجمعه آراد وريدان.
- ⁴⁶ الفتح على أبي الفتح: 137، والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي: 50/2، وذكر أنه يجوز في آراد أنه يكون جمع (رأد: ضوء)، وقد يكون جمع ريد: التّرب.
- ⁴⁷ الفتح على أبي الفتح: 69
- ⁴⁸ الفتح على أبي الفتح: 86
- ⁴⁹ الفتح على أبي الفتح: 86
- ⁵⁰ الفتح على أبي الفتح: 113
- ⁵¹ ديوان أبي الطيب المتنبي: 116/2
- ⁵² الراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن: تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة- بيروت ط1، 159.
- مجد الدين الفيروز آبادي (ت711هـ)، القاموس المحيط، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003م.
- ⁵³ 362
- ⁵⁴ ينظر: الفتح على أبي الفتح: 298
- ⁵⁵ الفتح على أبي الفتح: 298
- ⁵⁶ الفتح على أبي الفتح: 92-94
- ⁵⁷ الفتح على أبي الفتح: 106-107
- ⁵⁸ الفتح على أبي الفتح: 146
- ⁵⁹ ديوان أبي الطيب المتنبي: 124/2

- ⁶⁰ الفتح على أبي الفتح: 147
⁶¹ الفتح على أبي الفتح: 243-244
⁶² الفتح على أبي الفتح: 276-277
⁶³ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ) الشعر والشعراء: تحقيق: أحمد صقر، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ. 74/2
⁶⁴ الفتح على أبي الفتح: 281
⁶⁵ الفتح على أبي الفتح: 281-282، نقلا عن شرح الواحدي والاغاني : 281/17.
⁶⁶ الفتح على أبي الفتح: 273-274

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1971م.
2. ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1936م.
3. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (231هـ)، ديوان الحماسة: تحقيق: د.عبد المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، العراق، 1980م.
4. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، الشعر والشعراء: تحقيق: أحمد صقر، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
5. أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، الفتح الوهمي على مشكلات المتنبي: تحقيق: محسن غياض، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
6. محمد بن حمد بن فورجة (ت بعد 455هـ)، الفتح على أبي الفتح: تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ط: الجمهورية العراقية، 1974م.
7. مجد الدين الفيروز آبادي (ت711هـ)، القاموس المحيط، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003م.
8. الراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن: تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة- بيروت ط1. (د.ت).